أُحيحةُ بن الجُلاح (١)

دعيتم أيها السادة لاستماع محاضرة في موضوع تاريخي أدبي . وسيكون المحور الذي يدور عليه هذا الموضوع رجلاً من عظماء عرب الجاهلية اسمه (أحيحة بن الجلاح) .

وإذا كنتم أيها الاخوان لم تستعذبوا هذا الاسم فاني أرجو أن تستعذبوا المسمى . ويعجبكم ما أقصه عليكم من أخباره ومختلف أطواره .

نحن بصفة كوننا عرباً ولنا حرص على لغتنا وآدابها ينبغي لنا أن نتصفح اشعار عرب الجاهلية وما يؤثر عنهم من الأقوال والأمثال . وبذلك نفقه أسرار لغتنا وآدابها — وبصفة كوننا مسلمين يجب أن ندرس أخبار العرب التاريخية ، وأحوالهم الاجتماعية . لنعرف ماذا نسخ الاسلام من ذلك وغيره وماذا أبقى وقرر . وفي الكلام على (أُحيحة) يمكننا أن نستخرج فوائد من كلتا الوجهتين : الوجهة اللغوية الأدبية ، والوجهة التاريخية الاجتماعية . وهو فوق ذلك يعطينا صورة للنوابغ الذين كان في وسع ذلك المحيط العربي الجاهلي أن يبرزهم للوجود .

إنكم ستعلمون من ترجمة هذا الرجل العربي — ان في تاريخ عرب الجاهلية رجالاً كثيرين ذوي أعمال عظيمة وهمم عالية كان الواجب أن يكونوا مشهورين بيننا لكنهم لم يرزقوا السعادة في الشهرة كما رزق غيرهم .

ينبغي أن لا تقل شهرة أحيحة عن شهرة أصحاب المعلقات الذين توصلوا بالشعر وخياله الى تداول أخبارهم فاشتهروا . أما أحيحة فاتكل على التاريخ في نقل خبره . وكثيراً ما يبطيء التاريخ أو يقصر في النقل . وان نسبة التاريخ إلى الشعر في نقل الأخبار كنسبة الابل الى الكهرباء والبخار . وقد ملت الاسماع ترديد ذكر أشخاص من رجال الجاهلية كأصحاب المعلقات وقس بن ساعدة وحاتم طي والنعمان ، أما مثل

---

(١) محاضرة الأستاذ (المغربي) التي ألقاها في بهو المجمع ليلة الجمعة في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(أحيحة) فان اخباره لم تزل كمعدن ماس ، لم يمسه ماس ، ولم يضرب فيه بفاس .

موطن احيحة ونسبه : موطن أحيحة مدينة (يثرب) في الحجاز ، وهي التي هاجر اليها نبينا محمد (صلعم) وعرفت بعد ذلك بالمدينة المنورة . وكان سكانها الاقدمون عمالقة ارسل اليهم موسى (ص) على ما قاله مؤرخو العرب جيشاً وامرهم ان لايستبقوا أحداً ممن بلغ الحُلم الا من دخل في اليهودية . فقاتلوهم وقتلوهم كلهم . لكنهم أبقوا على ابن ملكهم وكان شاباً من أجمل الناس ، فعادوا به اسيراً وكان موسى قد قبض قبل قدومهم ، فقال لهم خليفته يوشع : من هذا الفتى ؟ فاخبروه خبره فقال لهم : ان هذه معصية ارجعوا عن أرض الميعاد . فرأوا أن يرجعوا الى البلد الذي فتحوه فعادوا اليه وأوطنوه

ثم لما حدثت في اليمن حادثة سيل العرم وجلا عنها سكانها الى شمال جزيرة العرب كان فيمن جلا بطون من قبيلة الازد اليمانية وهم الأوس والخزرج . فأموا يثرب ونزلوا فيها ، فقاومهم اليهود في أول الأمر . فاستنصر الأوس والخزرج اليمانيين اخوانهم الذين نزحوا معهم إلى الشمال فاعانوهم عليهم ، واصبحت لهم العزة في يثرب . لكنه وقع الشقاق اخيراً بين الحيين الأوس والخزرج ، وما زالوا في حروب وكروب حتى الف الاسلام بينهم ، وامتنّ القرآن بذلك عليهم .

وكان (احيحة بن الجلاح) سيد قومه الأوس ، ولم يعرف الزمن الذي عاش فيه لكنه كان قبل البعثة بنحو سبعين سنة على الاقل كما سيأتي بيانه . أما اسمه (أحيحة) فهو تصغير (أَحة) بمعنى حرارة الغيظ التي يجدها الانسان في صدره . وقد قال ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) انه تصغير (أُحاح) وعلى هذا ينبغي ان يلفظ (احيّحة) بتشديد الياء . وليس كذلك اذ المشهور التخفيف ولا سيما أنه ورد اسمه في الشعر مخففاً كما سيأتي في مدح خالد بن جعفر له . والأح ايضاً مصدر (أح) اذا سعل . ولعل من قال (قح) اي سعل توهم ان (اح) محولة عن قاف كما يفعل في لغتنا العامية إذ تحول القافات الى همزات . او ان (قح) مختصرة من قحب بمعنى سعل ومن هنا سميت القحبة قحبة .

اما أبوه (الجلاح) فهو من الجلح ومعناه انحسار الشعر عن مقدم الرأس ويحتمل ان يكون من الجلاح بمعنى السيل الجراف وهو الذي يجرف كل شيء يصادفه امامه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان أحيحة ذا دهاء وعقل ، كما كان ذا جد وعمل . وقد توصل باخلاقه هذه الى ان اصبح من نوابغ رجال ذلك العصر : فكان رجل حرب وكيد ، رجل ادب وشعر ، رجل مال واقتصاد ، رجل تنظيم وعمران . ونعني بالعمران العمران الذي تستطيعه بلاد الحجاز في ذلك العهد

احيحة رجل حرب وكيد : روى مؤرخو العرب ان تبّع الاخير ملك اليمن واسمه (ابو كرب بن حسان) مرّ بيثرب قاصداً الشام والعراق فخلف فيها ابناً له ، ثم بلغه ان اهل يثرب قتلوا ابنه ، فكر راجعاً اليهم مجمعاً على استئصالهم . فنزل خارج المدينة في سفح احد . ودعا اليه أشرافها من الأوس والخزرج ، فقالوا فيما بينهم انه يريد ان يملكنا على أهل يثرب . أما أحيحة فقال لهم والله ما دعاكم لخير . فذهب الأشراف اليه واستصحب أحيحة معه خباء وخمراً وقينة له تسمى (مليكة) فضرب الخباء وترك فيه خمره ومليكة . ثم استأذن على تبع فاذن له . واجلسه معه على زربيّته (بساط منقوش بالالوان جمعه زرابي) وجعل يحادثه ويسأله عن امواله بالمدينة فأخذ يخبره عنها . وتبع يقول له : « كل ذلك على هذه الزربية » ففهم أحيحة من قوله هذا انه يريد قتله . فخرج من عنده الى خبائه وقينته . فنظم لها قصيدة وداعية وجعل يشرب وهي تغنيه بها . ومن هذه القصيدة قوله :

يشتاق قلبي الى مليكة لو أمست قريباً ممن يطالبها
ما أحسن الجيد من مليكة واللبّات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة اذا هجع النا س ونام الكلاب ـ صاحبها
في ليلة لا يرى بها أحد يسعى علينا ـ الا كواكبها

وهذه الابيات مما كانت تغني به القينات في عهد الخلفاء . ولما نام حرس الملك أزمع أحيحة الهرب . وعلّم قينته مليكة ما تقول لتبع اذا سألها عنه ، ثم انطلق الى حصنه واستعد للدفاع وبعد ان قتل تبع الاشراف الذين دعاهم اليه ارسل حراسه في طلب أحيحة ، فلم يأتوا به وانما اتوا بمليكة . فاخبرته ان سيدها التجأ الى حصنه ، وانه يقول له : « اغدر بقينة او دع » وقد ذهبت كلمته هذه مثلاً في كثير من كلماته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاخرى . فخاف الملك السبّة والعار بقتلها فتركها وأرسل كتيبة من خيله إلى أحيحة فحاصروه ثلاثة أيام كان يرميهم فيها بالنبل والحجارة نهاراً وبالتمر والزاد ليلاً ، فرجعوا إلى الملك وقالوا نحن مافهمنا معنى هذه الحرب التي يقاتلنا فيها هذا الرجل نهاراً . ويضيفنا ليلاً فأمرهم بالكف عنه واكتفى بتحريق نخله ، وبقي الملك يقاتل عرب المدينة ويهودها أياماً ثم رحل عنها أخيراً عملاً بنصيحة حبرين من اليهود أخبراه انها ستكون مهاجَر نبيّ يظهر في آخر الزمان . وذهب الى مكة فكسا الكعبة البرود اليمانية عملاً باشارة الحبرين أيضاً اللذين أخذهما معه إلى اليمن وتهوّد هو وقومه ويقال إن هذا هو أصل دخول اليهودية في اليمن .

هذه خلاصة مارواه مؤرخو العرب عن تبع وحربه في الحجاز وكيف تخلص أحيحة منه بدهائه وشجاعته . ومن ثم كان قومه يشهدون له بانه ادهاهم رجلاً . وكانوا يزعمون أن له تابعاً من الجن يعلمه الخبر ، وذلك لما رأوا من ذكائه وكثرة صوابه . ولعمري ليس تابعه سوى عقله ودهائه . والعرب ان كانوا يقولون ان مع من نبغ من رجالهم جنياً فان الافرنج يسمون الفراسة والذكاء والنابغة المتفوق من رجالهم جيني (Génie) ألا ترون ان بين الكلمتين او بين التسميتين نسباً واضحاً واتصالاً ظاهراً ؟ والعرب ايضاً يسمون الذكي الذي يكثر صوابه ويصدق حدسه (ألمعياً) وقد قال شاعرهم :

الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

ويسمون الذي يفوق غيره ولا يعلوه شيء عبقرياً . فيحسن بنا اذن ان نعرب كلمة (جيني) الفرنسوية بكلمة (الالمعي) لقربها منها او (العبقري) . هذا اذا لم تعجبنا كلمة (نابغة) .

مامر من حرب أحيحة مع تبع هو من قبيل الحروب الخارجية اما حروبه الداخلية فهي حربه مع بني عمه الخزرج وكيف قهرته السيدة سلمى الخزرجية جدته (صلعم) :

قَتَلَ رجلٌ من الأوس قومِ أحيحة رجلاً خزرجياً من بني النجار قوم سلمى زوجته فنشبت الحرب من جراء ذلك بين الحيين . وكان أحيحة قائد قومه فعزم على تبييت الخزرج ، وأخذهم على غرة فشعرت بذلك زوجته سلمى بنت عمرو الخزرجية النجارية وكانت امرأة شريفة لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها : إذا كرهت من رجل شيئاً تركته . فدبرت حيلة أنقذت بها قومها من كيد أحيحة : وذلك أنها في تلك الليلة التي أزمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها زوجها تبييت الخزرج قومها ربطت ابنها عمراً من ذبذبه بخيط وكان فطيماً حتى إذا اوجعته تركته فبات يبكي ، وبات أبوه مؤرقاً يتقلب في فراشه ويقول : « ويحك يا سلمى ما لعمرو لا ينام » فتقول « ما أدري والله ! » . حتى إذا ذهب الليل حلت الخيط عنه ولكنه لم يكد ينام حتى صرخت أمه سلمى : « وارأساه » فقال أحيحة : « شراً ما لقيت في هذه الليلة» وقام إليها فجعل يعصب رأسها ويدلك براحته ظهرها ويقول : ما بك من بأس . حتى، إذا لم يبق من الليل إلا أقله . قالت قم فنم ،فاني أجدني مستريحة. وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه، ويشتد نومه. فلما استغرق في النوم أخذت حبلاً متيناً وأوثقته برأس الحصن ثم تدلت منه إلى قومها . وأنذرتهم بالذى أجمع عليه أحيحة وقومه من تبييتهم . فحذروا وتأهبوا . ولما جاءهم (أحيحة) لم يقدر أن ينال منهم نيلا .فعاد خائباً وجعل يقول : (آه لك يا سلمى خدعتني حتى بلغت ما أردت) وسماها قومها من ذلك اليوم المتدلية . ولأحيحة في هذه الحادثة اشعار كثيرة كان يعتب فيها على سلمى وسيأتي بعضها. ثم إن سلمى لم تعد إلى أحيحة كما هو شرطها في أن تختار نفسها متى شاءت وبعد ذلك تزوجت بسيد قريش وإمـــام البطحاء (هاشم بن عبد مناف) فولدت له عبد المطلب جد نبينا (صلعم) ومن هنا جاء ما ترونه في السير من أن أبا النبي عبد الله مات في المدينة عند أخواله بني النجار وأن السيدة آمنة كانت تذهب به (صلعم) وهو صغير إلى المدينة فتزيره أخواله بنى النجار- يعنون بذلك أخوال جده عبد المطلب من أمه (سلمى) هذه . وإذا كانت سلمى جدة عبد المطلب زوجة لأحيحة فيكون قد عاش أحيحة قبل البعثة بنحو سبعين سنة على أقل تقدير .

ومما له علاقة بأخبار (أحيحة) الحربية تنافسه في اقتناء الدروع واستكثاره من العتاد والسلاح : وقد ذكروا أنه لما قتل خالد بن جعفر العامري زهير بن جذيمة سيد بني عبس عزم ابنه قيس على أخذ الثار وجاءَ المدينة لشراء السلاح والعدة . فأخبر أن عند أحيحة من ذلك الشيء الكثير . وأن لديه درعاً لم يكن في يثرب درع تضاهيها . فطلبها قيس منه فأبى وقال : كيف أعطيكها وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العز في آل يثرب ... فناد بصوت يا أحيحة فاسمع

رأيت أباعمرو (أحيحة)جاره ... يبيت قرير العين غير مروّع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن يأته من خائف ينس خوفه ومن يأته من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة واكرم بفخر من خصالك الاربع

اصيحة رجل شعر وادب : مر في الكلام على انه رجل حرب ـ شيء يدل على منزلته من الشعر والادب : من ذلك قطعته الادبية التي غنته بها قينته مليكة وأولها :

ما احسن الجيد من مليكة والـ لبات اذ زانها ترائبها

وان له كلمات سارت في العرب مسير الأمثال من ذلك قوله لملك حمير بلسان مليكة (أغدر بقينة أو دع) . ومن كان مثل أحيحة في أعماله الحربية كما سمعت وأعماله العمرانية والزراعية والاقتصادية كما ستسمع ـ لا يتيسر له أن ينظم الشعر الكثير . على انه ربما كان له شعر كثير لم ينقل الينا كغيره من فحول شعراء الجاهلية

فمن شعره قصيدته المذهبة المعدودة بين المذهبات في كتاب (جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي) وقد عد ابو زيد أحيحة في أصحاب المذهبات وقال انهم كلهم من اهل المدينة المنورة . ومطلعها :

صحوت عن الصبا والدهر غول ونفس المرء آونة قتول
ولو أني أشاء نعمت حالاً وباكرني صبوح أو نشيل
ولاعبني على الانماط لعس على افواههن الزنجبيل

ومنها

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وإن ألقحت شولاً أتلقح بعد ذلك أم تحيل
وما تدري وان أنتجت سقباً لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما تدري وإن أجمعت أمراً بأي الارض يدركك المقيل

واشار في هذه القصيدة إلى كيد زوجته سلمى له واحتيالها عليه فقال :

اذا مابت أعصبها فباتت عليّ مكانها الحمى النسول
لعلّ عصابها يبغيك حرباً ويأتيهم بعورتك الدليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأشار إلى حصنه فقال :

وقد اعددت للحدثان حصناً لو ان المرء تنفعه العقول
طويل الرأس أبيض مشمخراً يلوح كأنه سيف صقيل

احيحة رجل عمران : بقي علينا ان نتكلم على أحيحة بصفة أنه رجل عمران. ونعني بالعمران هنا القدر الذي يطيقه محيط يثرب في ذلك العهد . فلا يعترضن علينا معترض بانه لايسمى العمران عمراناً الا اذا كان مثل عمران لندره وباريز اليوم !! على أنه لو كان أمثال أحيحة في ذلك العهد كثيرين يسعون سعيه في الزراعة وجمع المال وإنشاء القصور لكان للمدينة شأن آخر غير شأنها المعروف .

(الأُطم) في لغة العرب بمعنى الحصن والقصر العظيم ويجمع على آطام وكان أهل يثرب قبيل الاسلام يبنون آطامهم بالجنادل والحجارة ويتخذونها أحياناً معاقل وقلاع دفاع . كما سمعت في خبر أحيحة مع تبّع . وكانت هـــذه الآطام عز العرب ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون بها من عدوهم . ومن أشهر آطام العرب وأعظمها شأنا اطمان كانا لأحيحة أحدهما بناه في المدينة وسماه (المستظل) وهو الذي تحصن فيه حين قاتل ملك اليمن والآخر سماه (الضحيان) وقد بناه في مزرعة له يقال لها (الغابة) وهي على بعد نحو فرسخ من المدينة . وكأنه سماه (الضحيان) لانه ضاح بارز للشمس بخلاف (المستظل) فقد كان مبنياً في ظل المدينة وبين بيوتها .

وبنى (أحيحة) أطمه (الضحيان) بحجارة سوداء ثم بنى من فوقه نبرة بيضاء مثل الفضة . والنبرة كل شيء مرتفع . ثم جعل على هذه النبرة نبرة أخرى مثلها بحيث يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه قالوا : ولما شيد (أحيحة) أطمه (الضحيان) على هذه الصورة أشرف من فوقه ومعه غلام له وقال (لقد بنيت حصناً حصيناً مابنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم ولقد عرفت موضع حجر منه لونزع لوقع الحصن جميعاً) فقال الغلام المسكين انا اعرفه يامولاي واشار اليه فدفعه (أحيحة) من رأس الأطم فوقع ميتاً . وانما قتله إرادة أن لايعرف سرّ ذلك الحجر غيره . وهذا كما حكي عـــن سنمار المعمار الذي شيد الخورنق للنعمان وجعـــل فيه مثل ذلك الحجر الذي وضع في حصن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(أحيحة) فان النعمان رماه من فوق ذلك القصر فمات لئلا ينكشف سر الحجر . وقد ضرب بسنمار المثل فيقال (جزاه جزاء سنمار) .

وكان من عادة أحيحة أن يجلس في ظل أطمه الضحيان . وكان في أوقات الخوف يرسل حواليه كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف . حذراً من عدو يصيب منه غرة . وقد نجته هذه الكلاب مرة من خصمه (عاصم) الخزرجي فانه تسلل إليه ليلا يريد الفتك به . وجعل يرمي للكلاب تمراً فوقفت ساكتة . فأحس (أحيحة) بالشر وأسرع إلى حصنه تحت وابل من السهام وهكذا نجا من الموت الزؤام .

هذه عناية (أحيحة) بتشييد الأبنية أما عنايته بانشاء المزارع والبساتين فعظيمة أيضاً : قالوا كانت له مزرعة تسمى (الزوراء) وأخرى اسمها (الغابة) . وكان له في (الجرف) وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام أصوار من نخل قلّ يوم يمر به الا يطلع عليه . والأصوار جمع صور وهو النخل الصغير ومعنى انه صغير انجنسه صغير أوأنه فسيل يزرع ثم ينقل من منبته الموقت إلى مغرسه الدائم. ومن شعر (أحيحة) في مزرعته (الزوراء) :

إني أقيم على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الاخوان ذو المال
استغن أومت ولا يغررك ذو نشب ... من ابن عم ولا عم ولا خال

ولما زار الوليد بن عبد الملك المدينة سأل عن الزوراء هذه وأنشد الأبيات . فدلوه عليها فقال (ان أبا عمرو يراه غنياً بها) فعجب الناس من معرفة الوليد بأخبار العرب حتى علم أن (أحيحة) يكنى (أبا عمرو) .

وكان لأحيحة في مزارعه تسعة وتسعون بعيراً كلها ينضح عليها أي ينقل الماء على ظهورها إلى مزارعه وبساتينه . والبعير الذي ينقل الماء يسمى ناضحاً ويسمى أيضاً (سانية) ومنه المثل (سير السواني سفر لا ينقطع) ولم يقتصر أحيحة في الزراعة على غرس النخيل وإنشاء البساتين بل كانت له حقول يزرع فيها الحنطة بكثرة بدليل قوله:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ... ورد المدينة عن زراعة فوم

ومراده بالفوم الحنطة وهي لغة للعرب قديمة أو هي لغة بني هاشم وحكوا قولهم (فوّموا لنا) أي اختبزوا لنا خبز حنطة . ولا يمكن أن يريد (أحيحة) بالفوم الثوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي هو معناه أيضاً لأن الثوم لا تزرع منه مقادير كبيرة تغني صاحبها لعدم حاجة الناس إليها بخلاف الحنطة فان الناس يحتاجون إليها فيكثر أرباب الزراعة من زراعتها . وقوله تعالى عن بني اسرائيل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) اختلفوا في المراد بالفوم هل هو الثوم أو الحنطة ؟فذهب ابن عباس إلى أنه الحنطة وان العرب تعرفه بهذا المعنى بدليل قول أحيحة « قد كنت أغنى الناس » الخ ولا يعترض على هذا بأنه قرىء في الآية (وثومها) بالثاء مكان (فومها) بالفاء لأنا نقول ان الثاء فيها مقلوبة عن الفاء كما قلبت في (مغافير) و (جدف) فيقال فيها (مغاثير) و (جدث). ثم يقال من جهة ثانية إن الفوم قرن في الذكر بالعدس فيكون ضربا من القطاني يعني الحبوب ولم يقرن بالبصل حتى يكون أخاه الثوم .

أحيحة رجل مال : قالوا : كان (أحيحة) رجلاً صنيعاً للمال . شحيحاً عليه . ومعنى قولهم (صنيعاً) انه حاذق بجمعه حريص على تنميته وتكثيره . اذ يقال فلان صنيع اليدين وصناع اليدين يعنون انه حاذق . أما قولهم (انه كان شحيحاً) فلم يريدوا انه بخيل لايجود بالمال . كيف وقد تقدم في خبره مع (تبع) انه كان يحارب عسكره في النهار ويضيفهم بالتمر في الليل ومر أيضاً قول خالدبن جعفر فيه (ومن يأته من جائع البطن يشبع) فلا جرم أن يكون المراد بكونه شحيحاً على المال انه حريص عليه فلا يدع شيئاً منه يذهب سدى من دون أن يستثمره وينتفع به . وهذا هو الاقتصاد او التدبير المنزلي بعينه .

ومما قالوه عن « أحيحة »أنه كان يتبع بيع الربا في المدينة حتى كاد يحيط باموال أهلها . أي كاد يستولي على أموالهم بتواتر الفائدة وفائدة الفائدة . ومن هذا تعرفون مقدرة الرجل ومهارته في كسب المال والاحتيال على جمعه ، ومثله في ذلك كثيرون من سادات العرب واشرافهم في المدينة ومكة قبيل البعثة فقد أكثروا من المراباة حتى كاد الفقراء يهلكون . ولم يكن أحد يقرض الفقراء قرضاً حسناً لوجه الله . بل كانوا إذا طلبوا قرضاً من غني طلب منهم الفائدة بطريقة الربا وكانوا اذا حل الاجل وعجز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاداء يقول المرابون لهم نؤخر لديكم المـال وزيدونا في فائدته فمـا كانت تمضي سنون حتى يعجز هؤلاء المساكين عن الاداء فيضع المرابون الاغنياء يدهم على عقارهم واموالهم ويستصفونها لانفسهم : حالة مزعجة مخربة للعمران .مقوضة لراحة بني الانسان . جاء الاسلام فانكرها على ذويها . ونعى عليهم فعلهم وقسوتهم . وحضهم على الرفق بالفقراء ورحمتهم. وان يقرضوهم القرض الحسن .وبذلك يعتدل الميزان وتهدأ الاحقاد والاضغان

فالربا في الجاهلية كان مداره انتظار الغني طروء حاجة على الفقير وترقب ضائقته المـالية . حتى اذا سنحت الفرصة له استغل هـذه الحاجة والفقر من دون رحمـة ولا شفقة . ومن العجائب أن يكون الفقر مصدراً للغنى : فقير يحتاج فيقصد غنياً ليشكو له أو ليستقرض منـه فينتهز الغني الفرصـة فيدينه بالربا ثم يحلبـه كل سنة الى أن يترب ولا يبقى عنده شيء . فما أعدل الاسلام وما أرحمـه مذ حرم الربا . وانقـذ هؤلاء المساكين من براثن اولئك البغاة الظالمين .

هنا ايها السادة نختم القول عن حياة (أحيحة بن الجلاح) الذي تبين لكم بحق انه رجل حرب وشعر ومال وعمران في آن واحد . ومهما سمحت لكم أيها السادة ان تنسوا شيئاً من محاضرتي لاأسمح لكم ان تنسوا (سلمى الخزرجية) التي تدلت من شرفات الحصن الشامخ . وخاطرت بنفسها زاهدة في زوجها وابنها والثروة التي كانت تعيش في ظلها . كل ذلك من أجل سلامة قومها . وتفضيل مصلحتهم على مصلحتها . فعليكم أن تقتدوا بها في حب وطنكم . لا سيما انها ليست غريبة عنكم . بل هي جدة نبيكم .

(المغربي)